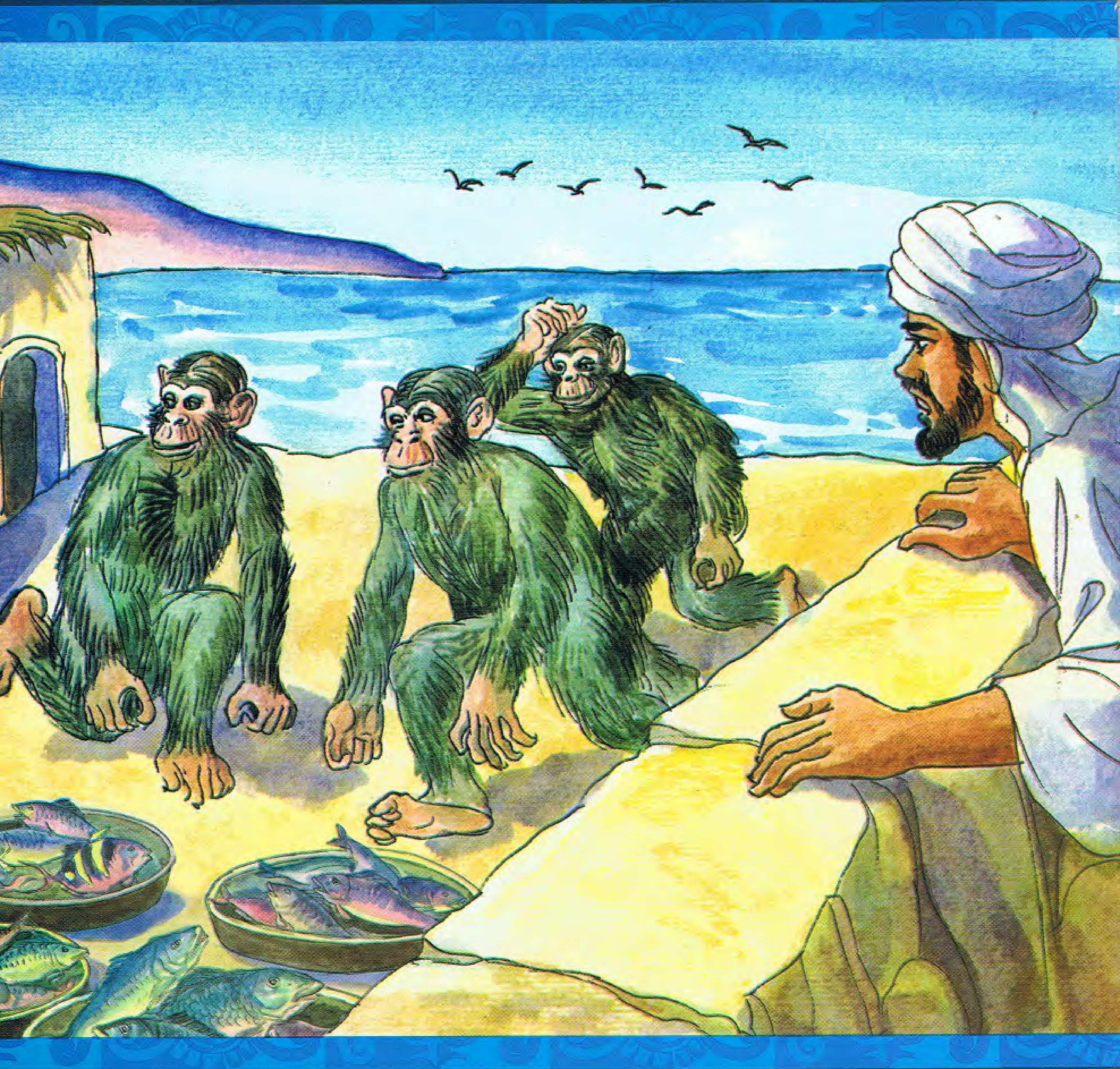
جَزاءُ الفَاسِقِينَ



إعداد:
الدكتور عبد الرحمن عثمان حجازي

الدار النموذجية للطباعة والنشر
صيدا - بيروت



• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

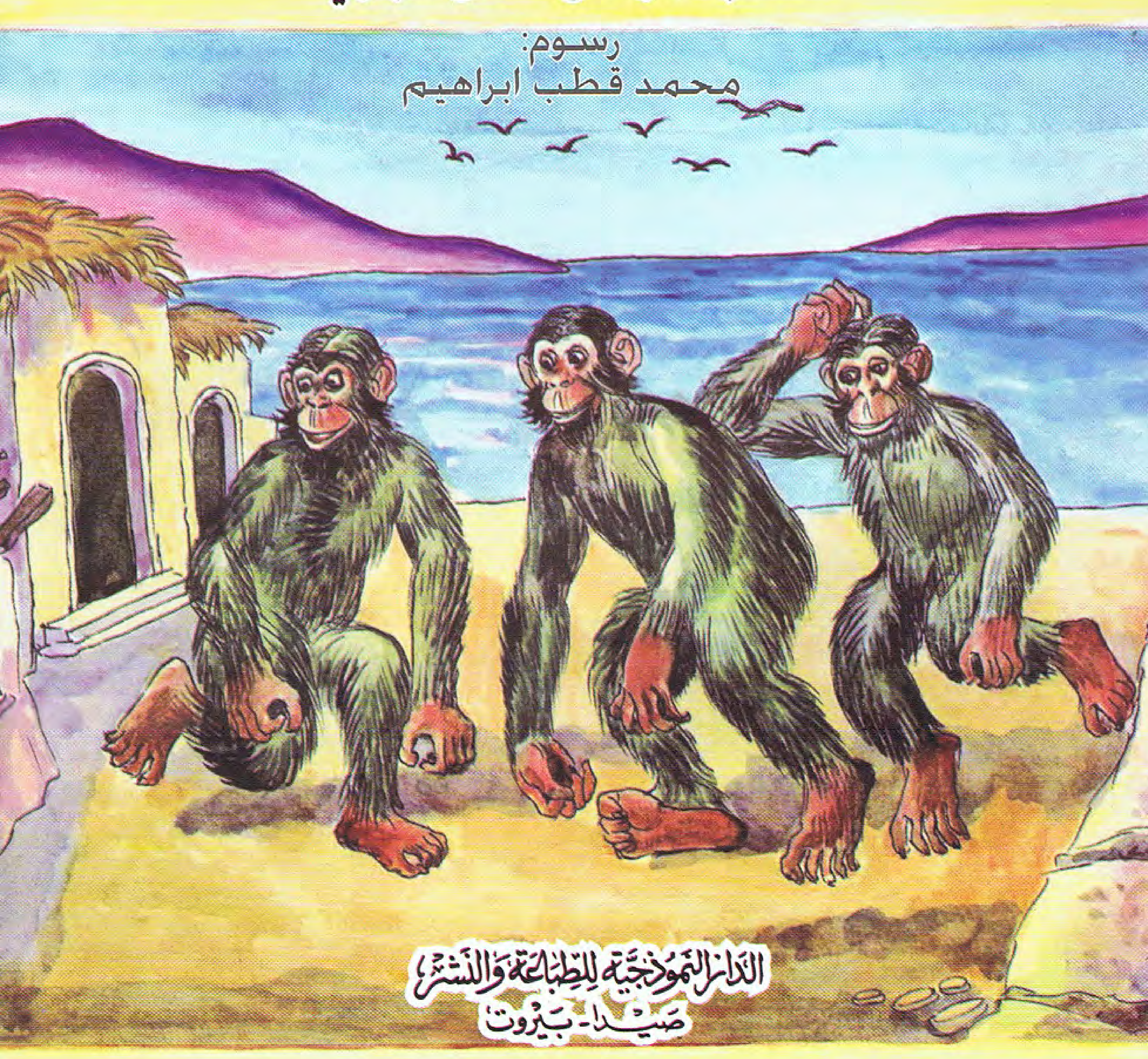
موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

جَزاءُ الفاسِقينَ

اعداد:

د. عبد الرحمن عثمان حجازي



كانَ أَهلُ إِيلَةَ، وهِيَ بَلْدَةٌ في فِلِسْطِينَ، تَقَعُ على شاطِئِ البَحْرِ في خَلِيجِ العَقَبَةِ، تَشْتَهِرُ بصَيْدِ السَّمَكِ، وصِناعَةِ سُفُنِ الصَّيْدِ الَّتي يَمْخُرُ بِها صَيَّادُو البَلْدَةِ عُبابَ البِحارِ لِيَصْطادُوا الأَسْماكَ الكَبِيرَةَ الَّتي يُطْلِقُونَ عَلَيْها ٱسْمَ الحِيتانِ.



كانَ الصَّيَّادُونَ في إِيلَةَ يَعْمَلُونَ طِيلَةَ أَيَّامِ الأُسْبُوعِ، ما عَدا يَوْمَ السَّبْتِ، الَّذي هُوَ يَوْمُ عُطْلَةٍ مُقَدَّسٍ عِنْدَ اليَهُودِ.

كانَتِ الأَسْماكُ والحِيتانُ تَقْتَرِبُ مِنْ شاطِىءِ إِيلَةَ، كُلَّ يَوْمِ سَبْتٍ تَسْبَحُ في مِياهِهِ بِحُرِّيَّةٍ دُونَ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَها أَحَدٌ مِنْ صَيَّادِي إِيلَةَ، وَيَسْتَمْتِعُ أَهْلُ إِيلَةَ بِمَشْهَدِ الأَسْماكِ الكَثِيرَةِ والمُتَنَوِّعَةِ وَهِيَ تَمْرَحُ، وَتَقْفِزُ في الماءِ.



حَتَّى إذا مالَتِ الشَّمْسُ إِلى المَغِيبِ، وغابَ النَّهارُ، ٱخْتَفَتِ الأَسْماكُ، وغاصَتْ إِلى أَعْماقِ البِحارِ بَعِيداً عَنْ أَعْيُنِ الصَّيَّادِينَ الَّتي تُلاحِقُها بِنَظَراتِها، وتَتَمَنَّى صَيْدَها.

كانَتْ تَعالِيمُ التَّوْراةِ تُحَظِّرُ على اليَهُودِ العَمَلَ يوْمَ السَّبْتِ، لِذَلِكَ كانَ سُكَّانُ إيلَةَ يَتَوَقَّفُونَ عَنِ العَمَلِ في هَذا اليَوْمِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ، وَيَقْضُونَ هَذا اليَوْمَ في العِبادَةِ، وَذِكْرِ اللَّهِ تَعالى، حَتَّى تَتَطَهَّرَ قُلُوبُهُم، وَتَصْفُوَ نُفُوسُهُم، يَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ، ولا يُشْغِلُونَ أَنْفُسَهُم بِأَمْرٍ منْ أمُورِ الدُّنْيا.

ظَلَّ قَوْمُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ أَهْلِ إِيلَةَ مُتَمَسِّكِينَ بِتَعالِيمِ دِينِهِم، يَحْتَرِمُونَ عَقِيدَتَهُم، فَيَتَوَقَّفُونَ كُلَّ يَوْمِ سَبْتٍ، عَنِ العَمَلِ، وَيَتَفَرَّغُونَ فيهِ لِلْعِبادَةِ.

تَوالَتِ الأَيَّامُ والأَعْوامُ، وَأَهْلُ إِيلَةَ على تِلْكَ الحالِ مِنَ الطَّاعَةِ والعِبادَةِ لِلَّهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى، يُطِيعُونَ أَوامِرَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ مَعاصِيهِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ تَكاثُرَ الأَسْماكِ، يَوْمَ السَّبْتِ، عِنْدَ شَواطِئِهِم ٱبْتِلاءٌ مِنَ اللَّهِ تَعالى لاخْتِبارِ مَدَى تَقَيُّدِهِم بِتَعالِيم دِينِهِم.

تَعاقَبَتِ الأَجْيالُ في بَلْدَةِ إِيلَةَ، وَسُكَّانُ تِلْكَ البَلْدَةِ مُتَمَسِّكُونَ بِتَعالِيم دِينِهِم، يَمْتَنِعُونَ يَوْمَ السَّبْتِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ عَنْ أَيِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمالِ الدُّنْيا مِنْ صَيْدٍ، أَوْ

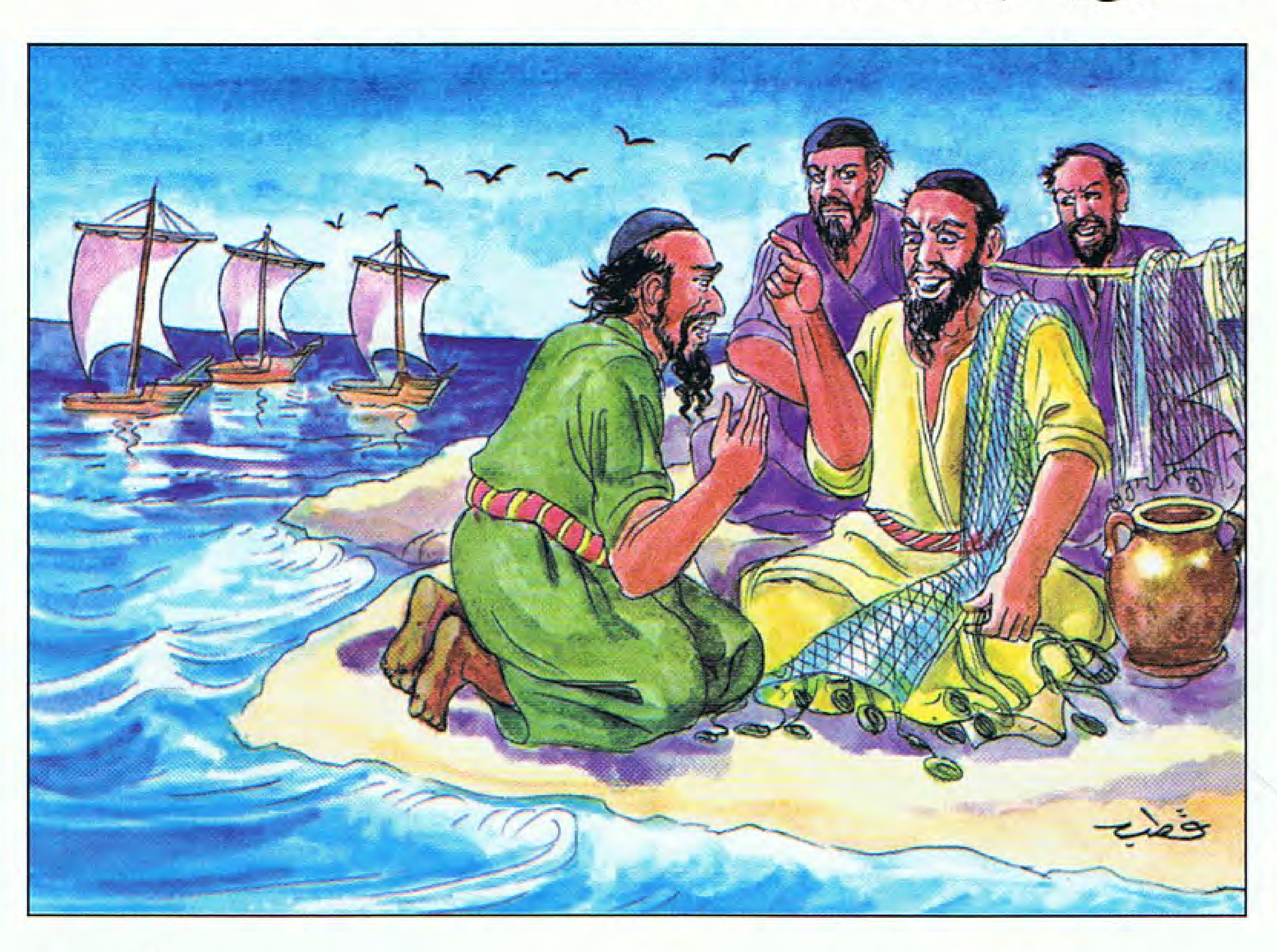
تِجارَةٍ،أَوْ صِناعَةٍ، وَيَنْصَرِفُونَ إِلى العِبادَةِ، وَذِكْرِ اللهِ تَعالى.

وكانَ الأَطْفالُ يُمَتِّعُونَ أَبْصارَهُم، في ذَلِكَ اليَوْم، بِمَنْظَرِ الأَسْماكِ وهِيَ تَقْتَرِبُ مِنْ شاطِىءِ بَلْدَتِهِم، وَيَتَبارَوْنَ في مَعْرِفَةِ أَسْمائِها وأَنْواعِها، شاكِرِينَ اللَّهَ تَعالى على الرِّزْقِ الوَفيرِ المَوْجُودِ في البَحْرِ، الَّذي هُوَ مَصْدَرُ رِزْقِهِم



الوَحِيدِ، ولا يُؤْذُونَ تِلْكَ الأَسْماكَ حَتَّى لاتَرْتاعَ أَوْ تَهْرُبَ، وَيَتَسابَقُونَ في رَمْيِ، فُتاتِ الخُبْزِ،الَّتي يَحْمِلُونَها مِنْ

بُيُوتِهِم، إِلى تِلْكَ الأَسْماكِ، الَّتي تَقْفِزُ في الماءِ قُرْبَ الشَّاطِىءِ لالْتِقاطِ تِلْكَ الفُتاتِ.



ضَعُفَتْ نُفوسُ بَعْضِ الصَّيَّادينَ أَمامَ الحيتانِ والأَسْماكِ الوَفيرَةِ الَّتي تَتَواجَدُ، كُلَّ سَبْتٍ، قُرْبَ شاطِىءِ بَلْدَتِهِم، وَتَحَرَّكَ الطَّمَعُ في نُفُوسِ الفاسِقِينَ مِنْ صَيَّادِي إِيلَةَ، فَغَفَلُوا عَنْ تَعَالِيم أَنْبيائِهِم، وحادُوا عَنْ تَعَالِيمِ التَّوْراةِ الَّتي سارَ على نَهْجِها آباؤُهُم وأَجْدادُهُم.

قَرَّرَ هَؤُلاءِ إِيجادَ وَسيلَةٍ لاصْطِيادِ الأَسْماكِ الَّتي تَقْتَرِبُ

مِنَ الشَّاطِىءِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَقُومُوا بِأَيِّ عَمَلٍ يَوْمَ السَّبْتِ، وَبِذَلِكَ يُحَقِّقُونَ رَغَباتِهِم في الحُصُولِ على الرِّزْقِ الوَفِيرِ مِنَ جِهَةٍ، ولا يُخالِفُونَ، مِنْ وُجْهَةِ نَظَرِهِم، تعَالِيمَ دينِهِم وَوَصايا أَنْبيائِهِم الَّتي تَأْمُرُهُم بِالاْمْتِنَاعِ عَنْ أَيِّ عَمَلٍ مِنَ الأَعْمَالِ، يَوْمَ السَّبْتِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.



وَتَبْتَعِدُ الأَسْماكُ، عِنْدَ اْنْقِضاءِ يَوْمِ السَّبْتِ، عَنِ الشَّاطِىءِ وَتَغُوصُ إِلى الأَعْماقِ، فَيَصْعُبُ على صَيَّادِي إِيلَةَ اْصْطِيادُها بِسُهُولَةٍ في الأَيَّامِ التَّالِيَةِ، الَّتي يُباحُ لَهُمْ فِيها الصَّيْدُ.

كانَ الصَّيَّادُونَ يُبْحِرُونَ بِمَراكِبِهِم إِلى عُرْضِ البَحْرِ، حَتَّى يَتَمَكَّنُوا مِنَ اصْطِيادِ الحِيتانِ والأَسْماكِ الضَّخْمَةِ، الَّتي لا تَعِيشُ إلاَّ في الأَعْماقِ، وَيَعُودُونَ إِلى إِيلَةَ حامِلِينَ صَيْدَهُمُ الوَفِيرَ، بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا قَدْ قَضَوْا في البَحْرِ ساعاتٍ طَوِيلَةً، وَرُبَّما عِدَّةَ أَيَّام.



وكانَ بَعْضُ ضِعَافِ النُّفُوسِ مِنَ الصَّيَّادِينَ يَتَساءَلُ: لِماذا نَرْكَبُ الأَخْطارَ حَتَّى نَصْطادَ الأَسْماكَ مِنْ أَعماقِ البَحْرِ، في حِينِ أَنَّها تَتَواجَدُ بِكَثْرَةٍ على شاطِئِ إِيلَةَ يَوْمَ السَّبْتِ؟

لِماذا لا نُفَكِّرُ بِوَسِيلَةٍ تُمَكِّنُنا مِنْ صَيْدِ هَذِهِ الأَسْماكِ، الَّتي يُحَرِّمُ عَلَيْنا دِينُنا ٱصْطِيادَها، ولا تُؤَدِّي إِلى مُخالَفَةِ تَعالِيم دِينِنا!

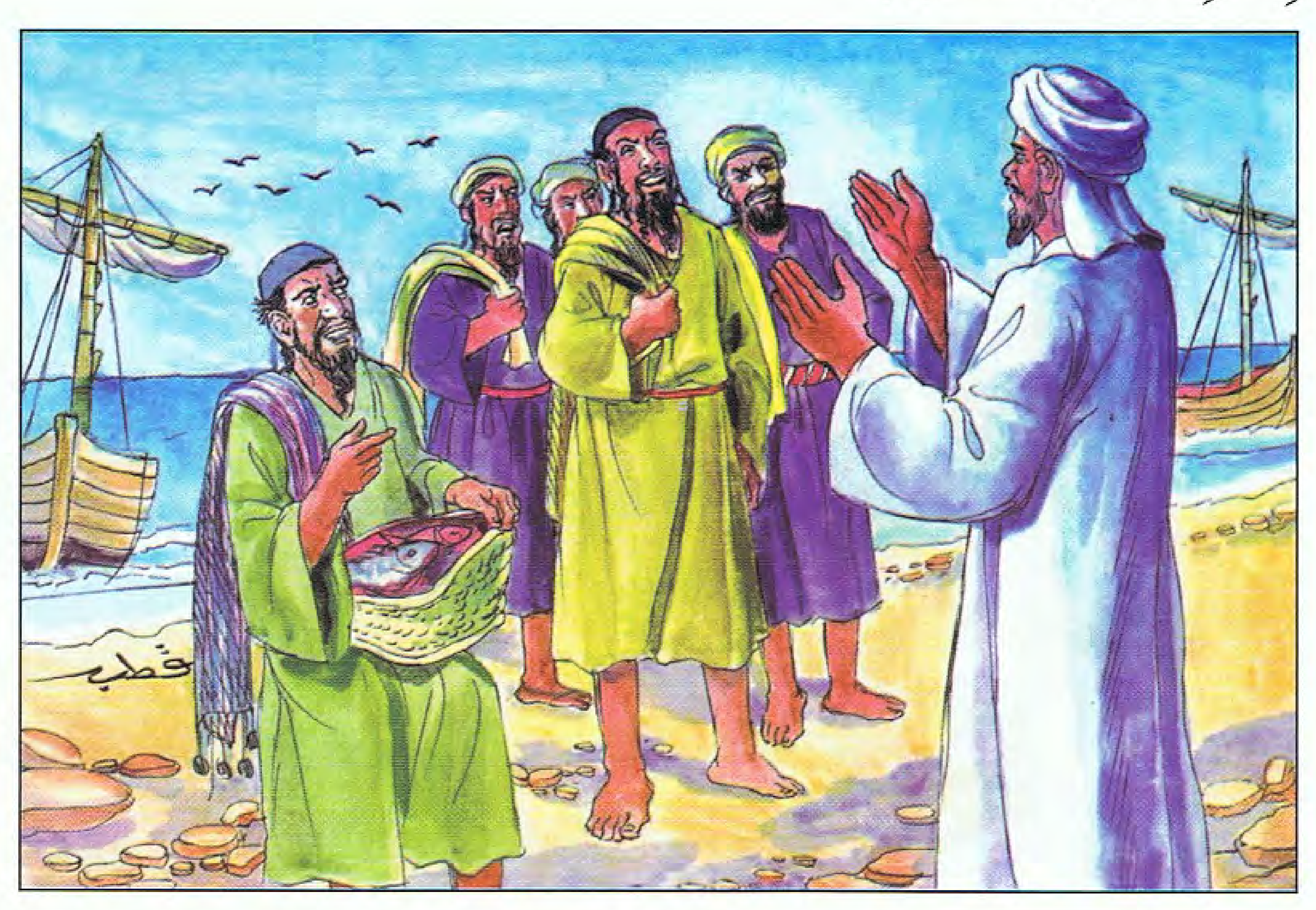
تَشاوَرَ الصَّيَّادُونَ الفاسِقُونَ فيما بَيْنَهُم، فَقَالَ بَعْضُهُم:



- مَا لنا نَتْرُكُ هَذِهِ الحِيتَانَ والأَسماكَ تَتكاثَرُ، يوْمَ السَّبْتِ، قُرْبَ شَواطِئِنا، وَنَسْعَى جاهِدِينَ، بَقِيَّةَ أَيَّامِ الأُسْبُوعِ إِلى صَيْدِها مِنْ أَعْماقِ البِحارِ؟

وقَالَ آخَرُونَ:

- إنَّ هَذِهِ الأَسْماكَ تَتَواجَدُ، بَعْدَ يَوْمِ السَّبْتِ، بَعِيداً عَنِ الشَّاطِىءِ، وَتَغُوصُ إلى الأَعْماقِ، فلا نَسْتَطِيعُ صَيْدَها إلاَّ بِمَشَقَّةٍ وَصُعُوبَةٍ!



اتَّفَقَ هَؤُلاءِ الفاسِقُونَ عَلَى أَنْ يصْطادُوا الأَسْماكَ الَّتي تَكْثُرُ على شاطِئِهِم، يَوْمَ السَّبْتِ، وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ الصَّيْدُ إلى خِلافٍ مَعَ المُؤْمِنينَ مِنْ قَوْمِهِم، الَّذين يَرَوْنَ أَنَّ مُخالَفَةَ تَعالِيمِ الدِّينِ عِصْيانٌ لِأَوامِرِ اللَّهِ تَعالى، تُؤَدِّي بِهِم إلى المَخاطِرِ والهَلاكِ.

نَفَّذَ الصَّيَّادُونَ الفاسِقُونَ ما أَضْمَرُوهُ مِنْ مُخالَفَةٍ لِتعالِيمِ

الدِّينِ، وما أَنْ خَيَّمَ ظَلامُ اللَّيْلِ، مَساءَ يَوْمِ الجُمُعَةِ، حَتَّى خَرَجَ هَؤُلاءِ الصَّيَّادُونَ مِنْ بُيُوتِهِم إِلى شاطِىءِ البَحْرِ سِرّاً، وَرَكِبُوا مَراكِبَهُم، وأَبْحَرُوا نَحْوَ عُرْضِ البَحْرِ، وَنَصَبُوا شِباكَهُم بِطَريقَةٍ لا تَسْمَحُ لأَسْماكِ يَوْمِ السَّبْتِ الإِفْلاتَ مِنْ شِباكِهِم.

ٱقْتَرَبَتِ الأَسْماكُ، صَبيحَةَ يَوْمِ السَّبْتِ كَعادَتِها، لِتَمْرَحَ وَتَقْفِزَ قُرْبَ الشَّاطِىءِ، لَكِنَّها قَبْلَ وُصُولِها إِلى الشَّاطِىءِ ٱصْطَدَمَتْ بِالشِّباكِ المُنْتَشِرَةِ في الماءِ، فَعَلِقَتْ بِها.

ٱسْتَغْرَبَ الأَطْفالُ عَدَمَ ٱقْتِرابِ الأَسْماكِ كَالعادَةِ، مِنَ الشَّاطِىءِ، وَظَنُّوا أَنَّها غَيَّرَتْ أَماكِنَ لَهْوِها، فَعادُوا إِلى بُيُوتِهِم آسِفينَ لأَنَّهُم لَمْ يُمَتِّعُوا نَظَرَهُم، كَعادَتِهِم، بِمَنْظَرِ لَهْوِها في البَحْرِ.

جَمَعَ الصَّيَّادُونَ الفاسِقُونَ، صَبيحَةَ يَوْمِ الأَحَدِ، شِباكَهُم، وأَخْرَجُوا ما عَلِقَ بِها مِنْ صَيْدٍ وَفيرٍ مِنْ أَسْماكٍ مُتَنَوِّعَةِ الأَحْجامِ والأَنْواعِ والأَشْكالِ دُونَ عَناءٍ أَوْ تَعَبٍ.

عَلِمَ المُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ إِيلَةَ بِمَا فَعَلَ الفاسِقُونَ مِنْ

صَيَّادِي بَلْدَتِهِم، فَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِم واعِظِينَ، قالَ لَهُم عالِمُ البَلْدَةِ:

- إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْتَحِنُنا بِما يَجْري، يَوْمَ السَّبْتِ، عِنْدَ شَواطِئِنا، وَعَلَيْنا أَنْ نَتَّعِظَ مِنْ ذَلِكَ، فَنَبْتَعِدَ عَنْ مَعاصِيهِ، فَلا نَصْطادُ سَمَكَ يَوْمِ السَّبْتِ حَتَّى نَأْمَنَ غَضَبَ اللَّهِ تَعالى.

رَدَّ أَحَدُ هَؤُلاءِ الصَّيَّادِينَ الفاسِقِينَ على عالِمِ بَلْدَتِهِم بِقَوْلِهِ:

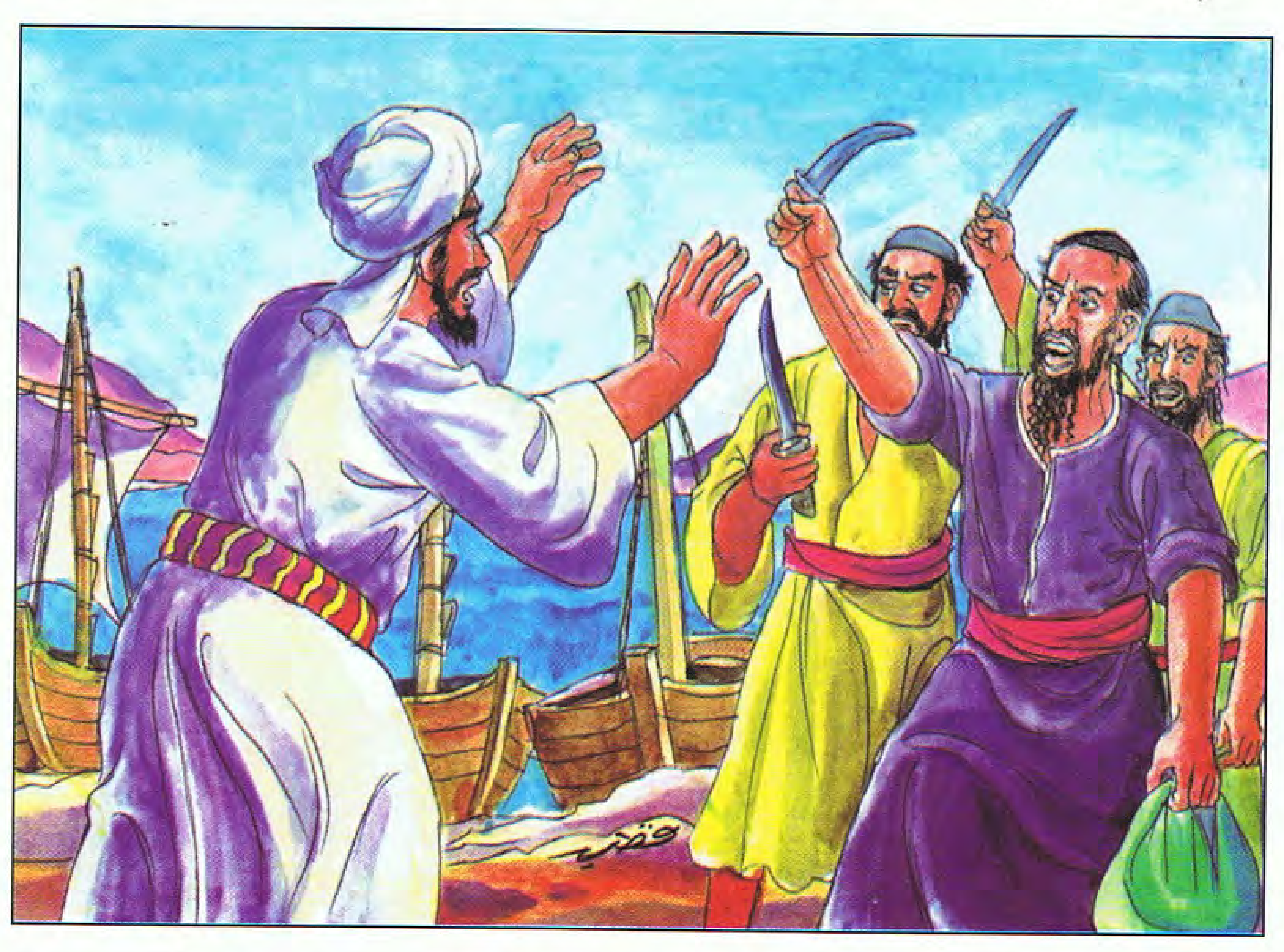
- نَحْنُ لا نَصْطَادُ سَمَكَ يَوْمِ السَّبْتِ، ولا نُخالِفُ تَعالِيمَ دِينِنا الَّذي يَأْمُرُنا بِالامْتِناعِ يَوْمَ السَّبْتِ عَنْ أَيِّ عَمَلٍ، إِنَّما نَصْطَادُ السَّمَكَ يَوْمَ الأَحَدِ! وَأَضافَ: أَيُعْقَلُ أَنْ نَتْرُكَ الأَسْماكَ تَتَكاثَرُ، أَمامَ أَعْيُنِنا عِنْدَ سَواحِلِنا، يَوْمَ السَّبْتِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ ولا نَصْطَادُها؟

رَفَضَ الصَّيَّادُونَ الفَاسِقُونَ الاسْتِجابَةَ لِمَوْعِظَةِ عَالِمِهِم، وأَصَرُّوا على طُغْيانِهِم، وَمُخالَفَةِ تَعالِيمِ دِينِهِم!.

حاوَلَ مُؤْمِنُو إِيلَةَ التَّصَدِّي بِالْقُوَّةِ لِهَؤُلاءِ الفَاسِقِينَ مِنَ الصَّيَّادِينَ لِمَنْعِهِم مِنْ صَيْدِ سَمَكِ يَوْمِ السَبْتِ، حَتَّى لا

يَحِلَّ عَلَيْهِم غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ تَعالى، أَوْ يَنْزِلَ عَلَيْهِم عَذابٌ مِنْ السَّماءِ، لَكِنَّهُم فَشِلُوا في تَصَدِّيهِم لَهُم لأَنَّهُم قِلَّةٌ لا حَوْلَ لَهُم ولا قُوَّةَ، وهَؤُلاءِ الصَّيَّادُونَ كَثْرَةٌ وأُولُو قُوَّةٍ.

تَحَدَّى الصَّيَّادُونَ الفاسِقُونَ المُؤْمِنِينَ، وهَدَّدُوهُم بِالقَتْلِ إِنْ هُمْ حاوَلُوا مَنْعَهُم مِنَ اصْطِيادِ الأَسْماكِ الَّتي تَقْتَرِبُ يَوْمَ السَّبْتِ مِنَ الشَّاطِئِ، فَهُمْ لا يَحْتَمِلُونَ رُؤْيَةَ



الحِيتَانِ والأَسْماكِ تَسْبَحُ قُرْبَ الشَّاطِئِ، دُونَ أَنْ تَمْتَدَّ أَيْدِيهِم إِلى هَذا الصَّيْدِ الوَفِيرِ، وَتَنالَ مِنْهُ نَصِيباً، يَعُودُ

عَلَيْهِم بِالمالِ الكَثِيرِ، وَيُرِيحُونَ أَنْفُسَهُم مِنْ عَناءِ خَوْضِ غِمارِ البَحْرِ بَحْثاً عَنْ صَيْدٍ ثَمِينٍ؛ وقالُوا:

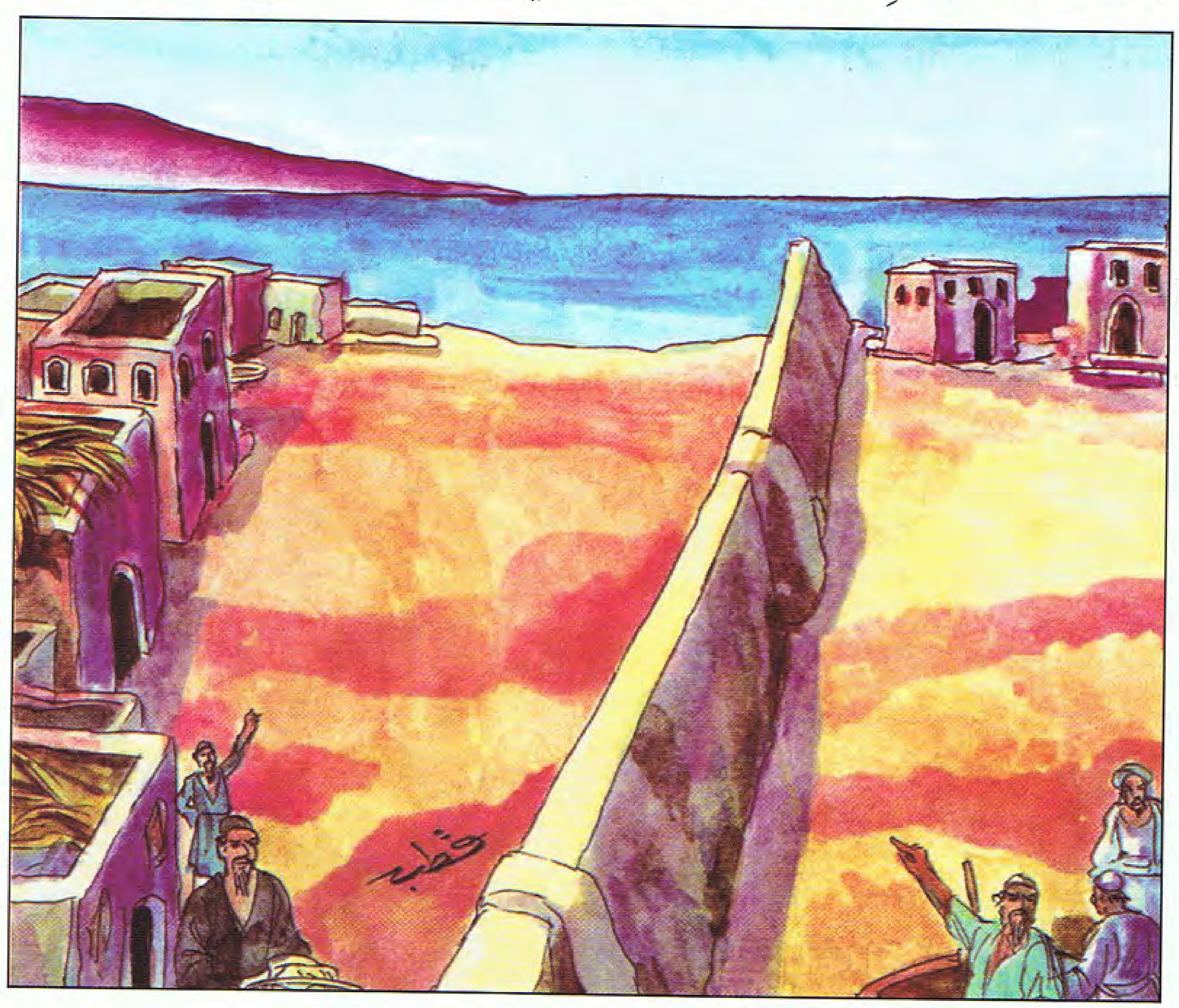
لِماذا لا يَكُونُ ٱقْتِرابُ الأَسْماكِ مِنْ الشَّاطِىءِ يَوْمَ السَّبْتِ، دَلِيلَ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ تَعالى؟ وما دامُوا لا يَصْطادُونَ هَذِهِ الأَسْماكَ، يَوْمَ السَّبْتِ، فَأَيْنَ هِيَ مُخالَفَةُ تَعالِيمِ دِينِهِم؟!

تَبَيَّنَ لْلمُؤْمِنِينَ أَنَّ هَؤُلاءِ الصَّيَّادِينَ الفاسِقِينَ لَنْ يَرْتَدِعُوا عَنْ مَعْصِيَتِهِم الشَّنْعاءِ، وأَنَّهُم لَنْ يَلْتَزِمُوا بِأَوامِرِ دِينِهِم وَنَواهِيهِ بَعْدَ أَنْ تَحَجَّرَتْ قُلُوبُهُم، وَغَفَلَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعالى، فَأَصْبَحَت قاسِيَةً كَالحِجارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً.

قَرَّرَ المُؤْمِنُونَ، بَعْدَ أَنْ يَئِسُوا مِنْ نُصْحِ الصَّيَّادِينَ، أَنْ يَتَجَنَّبُوا السَّكَنَ مَعَهُم، وَعَدَمَ مُجاوَرَتِهِم في حَيٍّ واحِدٍ، حَتَّى يَرْتَدِعُوا عَنْ ضَلالَتِهِم، وَيَعُودُوا إِلى رُشْدِهِم، وإِيمانِهِم بِاللَّهِ تَعالى.

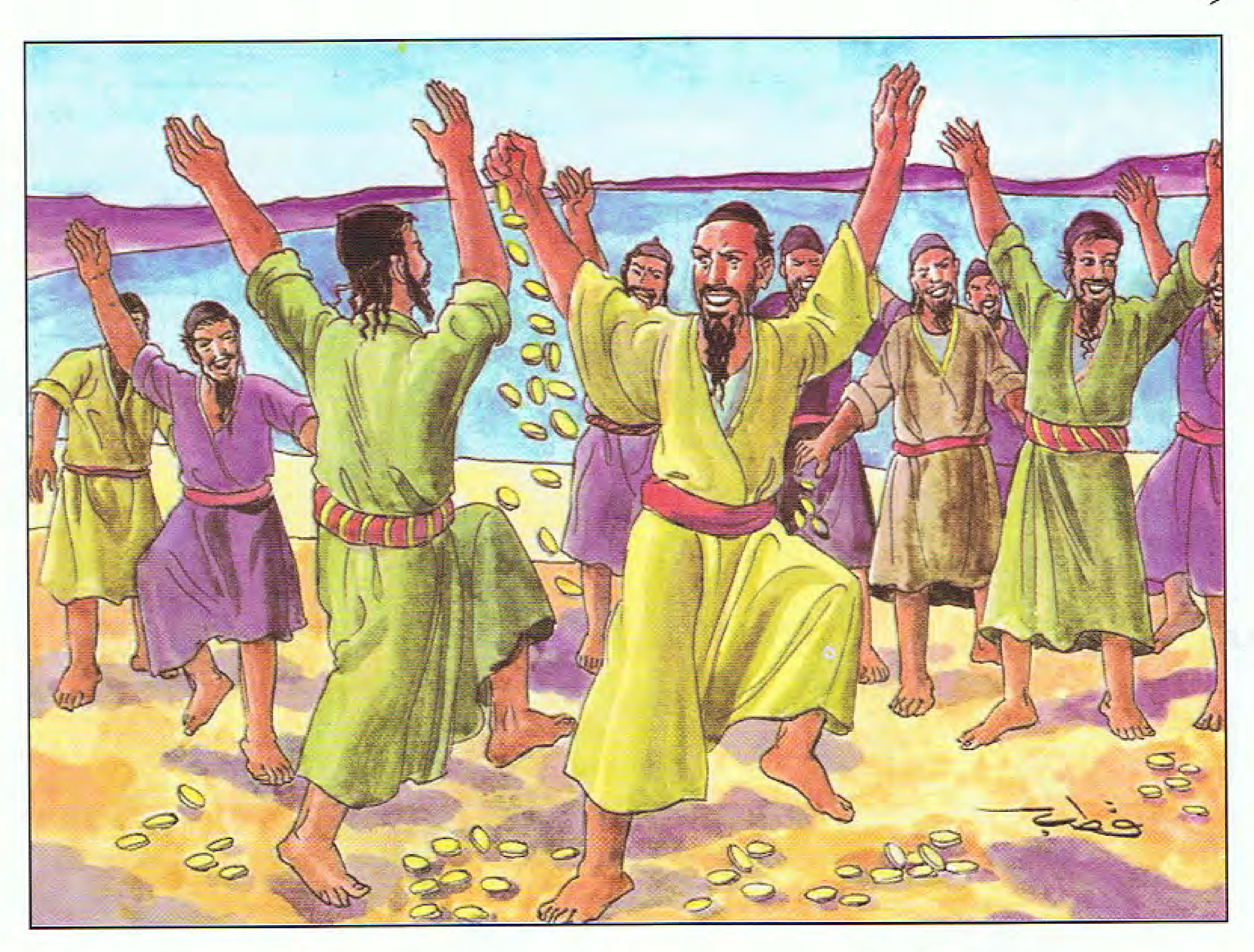
وافَقَ الطَّرَفانِ على أَنْ يَقْتَسِمُوا البَلْدَةَ فِيما بَيْنَهُم، طائِفَةُ المُؤْمِنِينَ تُقِيمُ في جانِبٍ مِنَ البَلْدَةِ، وطائِفَةُ الفاسِقِينَ تُقِيمُ في الجانِبِ الآخَرِ مِنَ البَلْدَةِ، ويُقِيمُوا جِداراً يَفْصِلُ بَيْنَ

الجانِبَيْنِ، يَكُونُ سَدّاً فِيما بَيْنَهُم حَتَّى لا يَتزاوَرُوا، وَيَقْطَعُوا الرَّوابِطَ والعَلاقاتِ الَّتي كانَتْ تَجْمَعُ بَيْنَهُم.



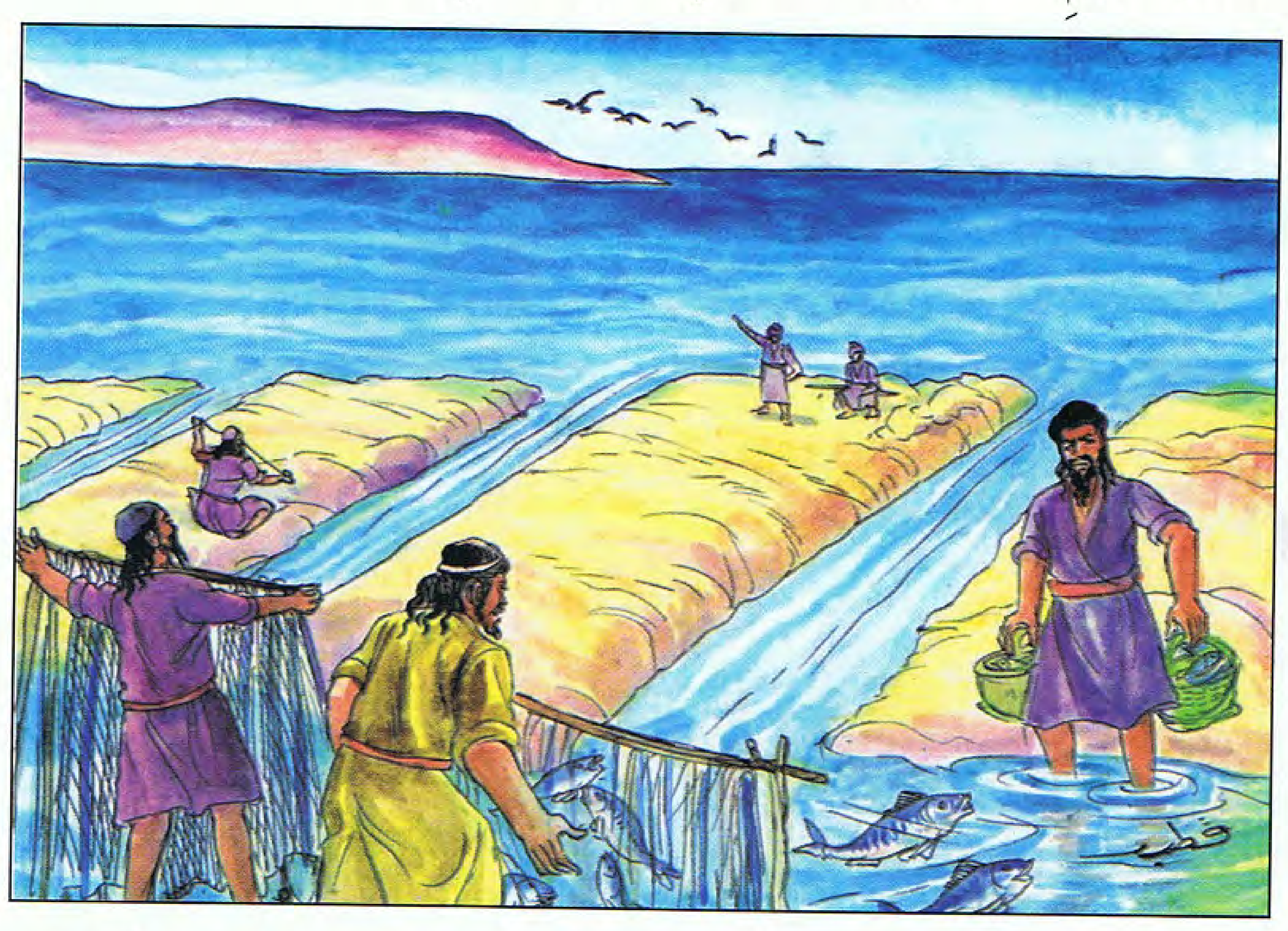
عاشَتْ كُلُّ فِئَةٍ في الجانِبِ المُخَصَّصِ لَها مِنَ البَلْدَةِ، لا يَتحادَثُونَ وَلا يَتَواصَلُونَ، بَعْدَ أَنْ فَشِلَ الحِوارُ بَيْنَهُم، وتَقَطَّعَتْ أَرْحامُهُم. ٱنْشَغَلَ الفاسِقُونَ بِما هُمْ فِيهِ مِنْ تَفَنُّنٍ في ٱصْطِيادِ سَمَكِ السَّبْتِ، وإنْفاقِ الأَمْوالِ الطَّائِلَةِ الَّتي يَكْسِبُونَها مِنْ صَيْدِهِمْ، على الشَّهَواتِ والمَلَذَّاتِ

والمَعاصِي، والتَّباهِي على المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ أَصْبَحُوا مِنَ الأَغْنِياءِ المَيْسُورِينِ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يُحَصِّلُونَ قُوتَ يَوْمِهِم بِصُعُوبَةٍ.



وَتابَعَ المُؤْمِنُونَ، في جانِبِهِم، أَعْمالَهُم مُلْتَزِمِينَ بِتَعالِيمِ دِينِهِم يَمْتَنِعُونَ عَنِ العَمَلِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَيَنْصَرِفُونَ إِلى العِبادَةِ، خائِفِينَ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِم غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ تَعالى، لِأَنَّ الفاسِقِينَ مِنْ أَبْناءِ بَلْدَتِهِم عَصَوْا اللَّهَ تَعالى وخالَفُوا أَوامِرَهُ، وَأَوامِرَ أَنْبِيائِهِم ورِجالِ دِينِهِم.

شَعَرَ الفاسِقُونَ أَنَّ نَصْبَ الشِّباكِ لَيْلَةَ السَّبْتِ، في البَحْرِ يُرْهِقُهُم وَيُتْعِبُهُم، فَتَوَصَّلُوا إِلى طَرِيقَةٍ مُبْتَكَرَةٍ في ٱصْطِيادِ سَمَكِ يَوْمِ السَّبْتِ! فما هِيَ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ؟



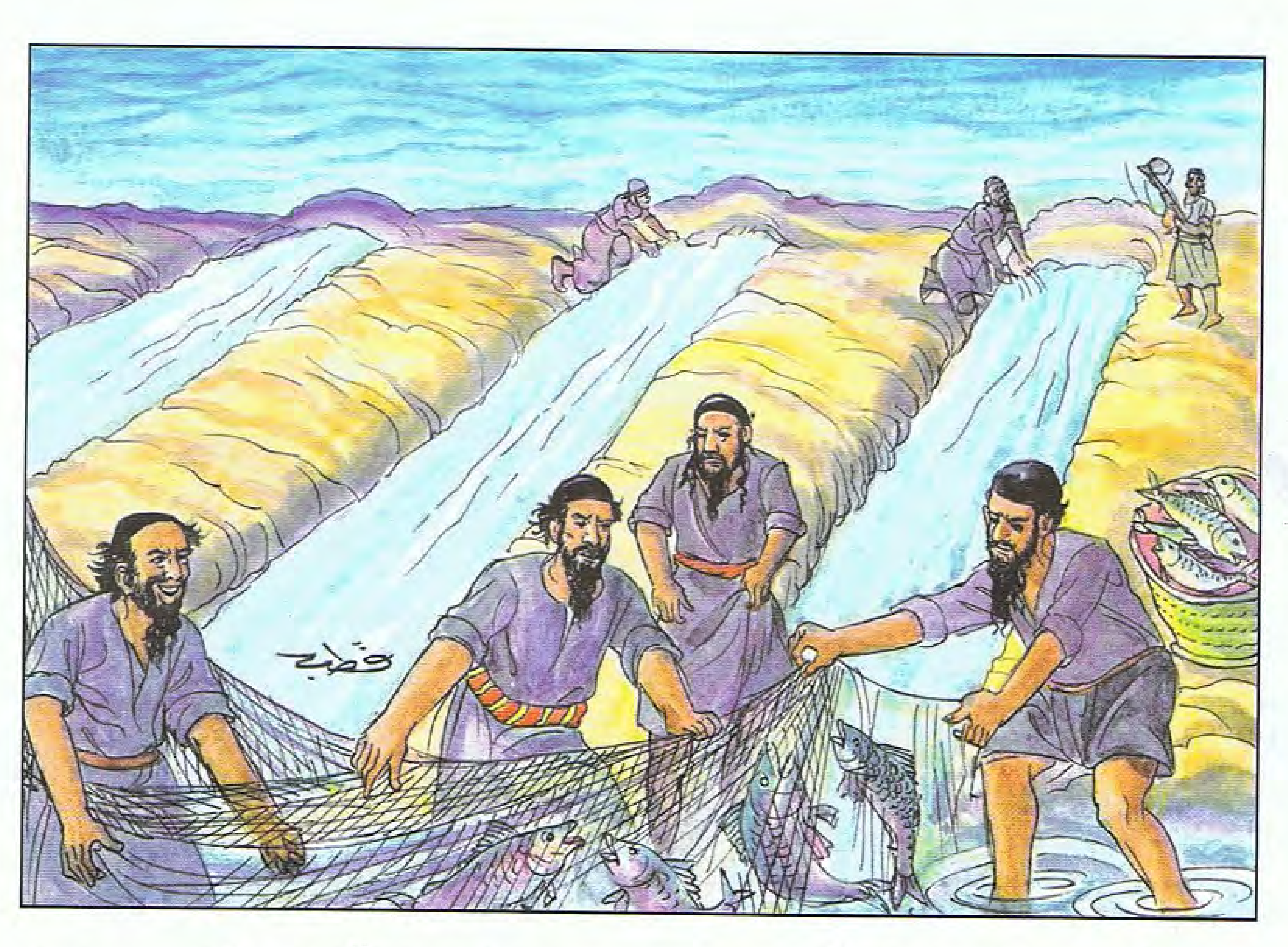
حَفَرَ الصَّيَّادُونَ الفاسِقُونَ قَنَوَاتٍ صَغِيرَةً تَصِلُ بَيْنَ البَحْرِ والمَكانِ الَّذي يُقِيمُونَ فِيهِ على شاطِىءِ البَحْرِ، فَإِذا كانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ، وأَقْبَلَتِ الحِيتانُ والأَسْماكُ بِاتِّجاهِ الشَّاطِىءِ، وَجَدَتْ تِلْكَ القَنَوَاتِ المَحْفُورَةَ، فَسَبَحَتْ فِيها مُتَّجِهَةً نَحْوَ جانِبِ الفاسِقِينَ، وَهِيَ لا تَدْرِي أَنَّها تَسْعَى إِلى شَرَكٍ نُصِبَ لَها لِتَقَعَ فِيهِ.

وَوَضَعُوا إِلى جانِبِ كُلِّ قَناةٍ الحِجارَةَ والتُّرابَ حَتَّى يُغْلِقُوا كُلَّ قَناةٍ مِنْ هَذِهِ القَنَواتِ بِالسُّرْعَةِ المَطْلُوبَةِ، مَساءَ يَوْمِ السَّبْتِ، بَعْدَ أَنْ تَكُونَ الأَسْماكُ قَدْ دَخَلَتْ في القَنَواتِ المَحْفُورَةِ.

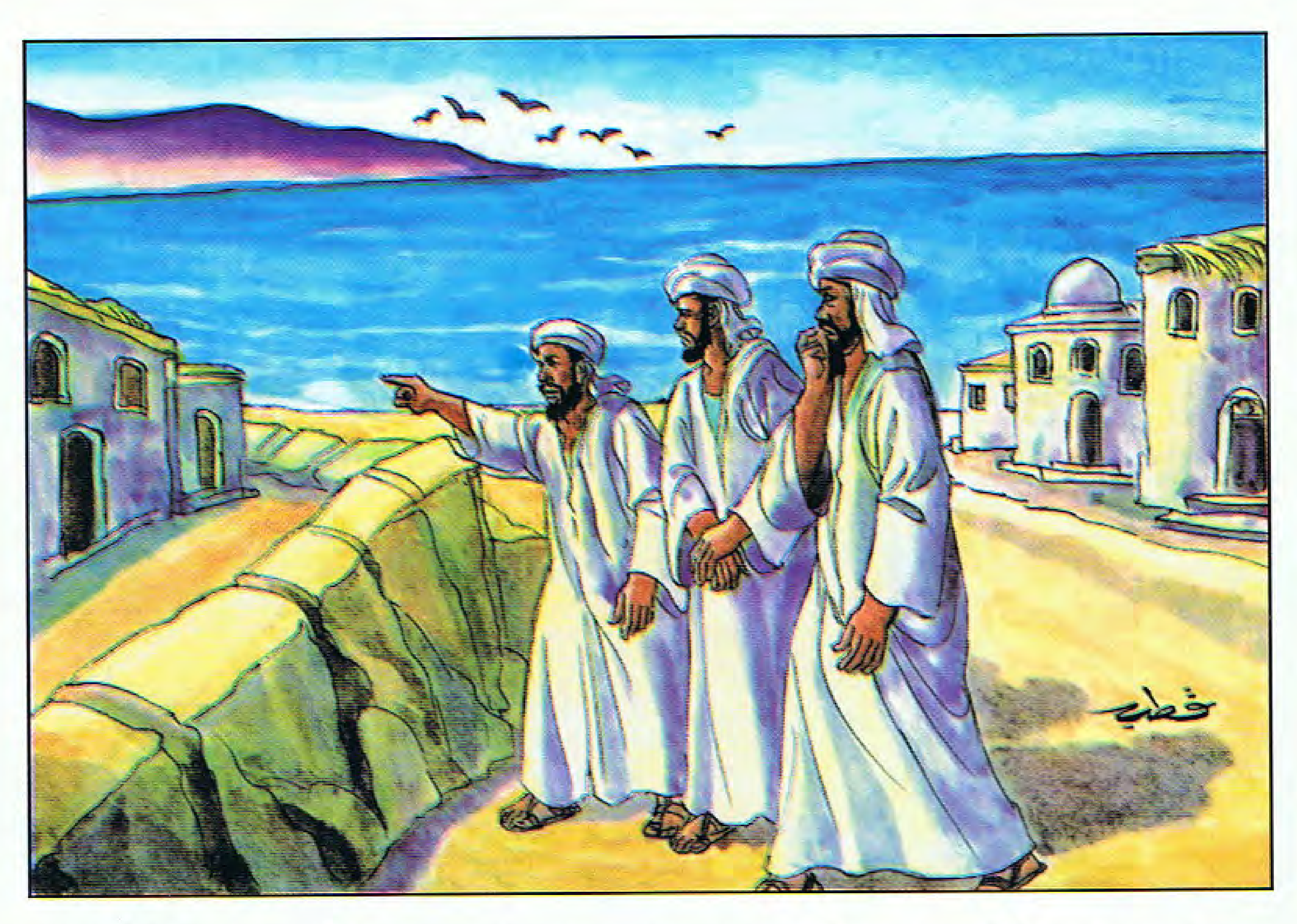
كانَتِ الأَسْماكُ تَسْبَحُ في ماءِ البَحْرِ طِوالَ يَوْمِ السَّبْتِ، تَقْفِزُ وَتَمْرَحُ، وَتَتَحَرَّكُ في أَمانٍ وَٱطْمِئْنانٍ في تِلْكَ القَنَواتِ، وَهِيَ لا تَدْرِي ما أَعَدَّ لَها الصَّيَّادُونَ الفاسِقُونَ مِنْ أَبْناءِ إِيلَةَ.

وَعِنْدَما مالَتْ شَمْسُ يَوْمِ السَّبْتِ إِلى المَغِيبِ، وَحاوَلَتِ الأَسْماكُ العَوْدَةَ إِلى أَعْماقِ البَحْرِ، سَدَّ الصَّيَّادُونَ الفاسِقُونَ القَنَواتِ الَّتي حَفَرُوها، فَلَمْ تَتَمَكَّنِ الأَسْماكُ مِنْ مُتابَعَةِ تَوَجُّهِها نَحْوَ البَحْرِ، وَوَقَعَتْ في شَرَكٍ لا تَسْتَطِيعُ الخَلاصَ مِنْهُ، وَبَقِيَتْ سَجِينَةً في القَنَواتِ إِلى صَباحِ يَوْمِ الأَحَدِ.

أَسْرَعَ الصَّيَّادُونَ، صَبَاحَ يَوْمِ الأَحَدِ، إِلى القَنَوَاتِ المَحْفُورَةِ فَوَجَدُوها مَلِيئَةً بِالسَّمَكِ، جَمَعُوها حَيَّةً في أَطْباقٍ، ثُمَّ باعُوها طازَجَةً إِلى القُرى المُجاوِرَةِ.



رَأى المُؤْمِنُونَ أَنَّ مِنْ واجِبِهِم نُصْحَ أَبْناءِ بَلْدَتِهِم مَرَّةً أُخرَى، بَعْدَما تَبَيَّنَ لَهُم أَنَّ ٱعْتِزالَهُم، وإقامَةَ سُورٍ فَاصِلٍ بَيْنَهُم لَمْ يُؤَدِّيا إِلى النَّتِيجَةِ المُتَوَخَّاةِ، والتَّوْبَةِ المَرْجُوَّةِ، والعَوْدَةِ إِلى اللَّهِ تَعالى.



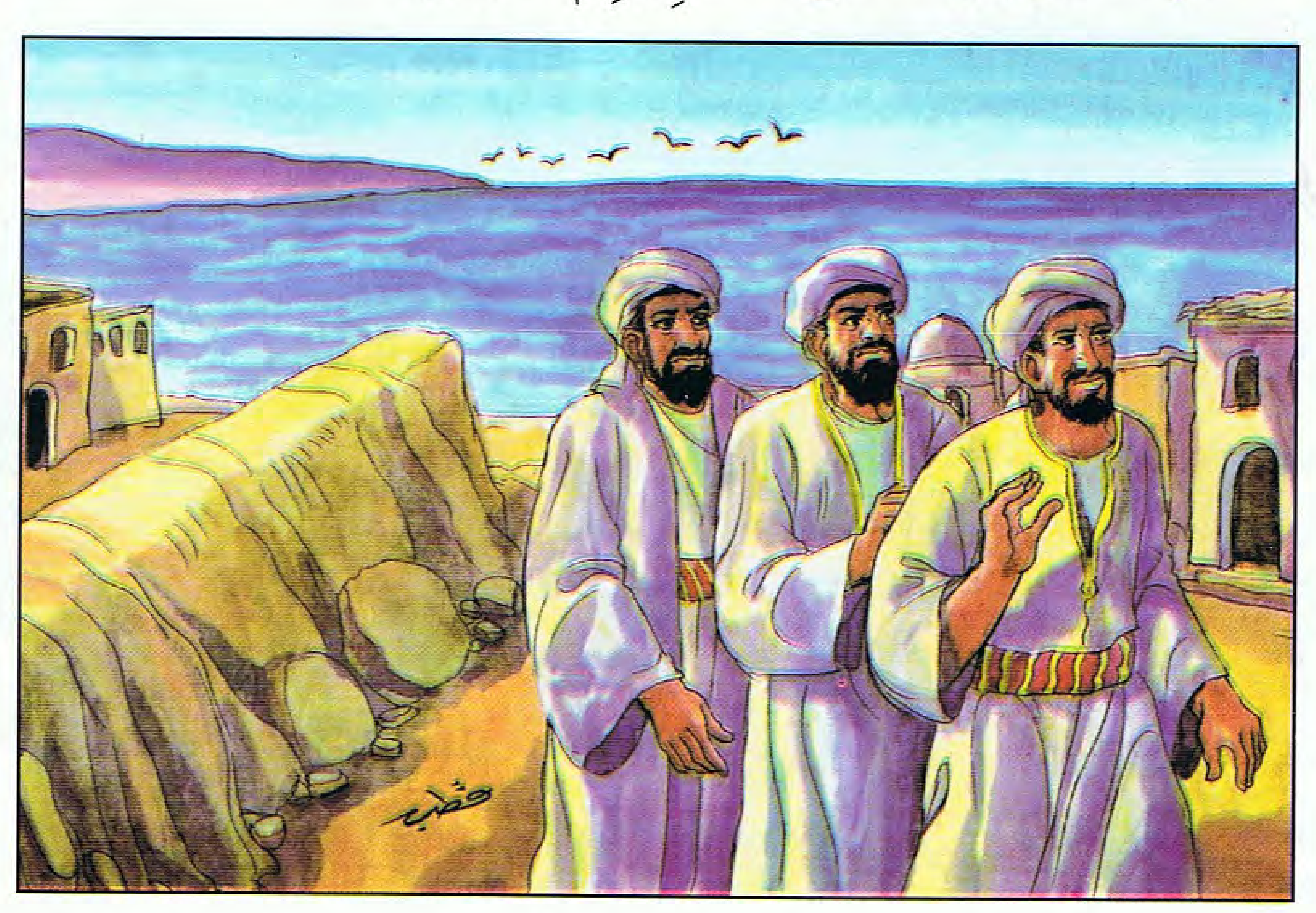
تَوَجَّهَ وَفْدٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ إِلى الجانِبِ الآخَرِ مِنَ البَلْدَةِ، وَنَصَحُوا أَبْناءَ بَلْدَتِهِم مِنَ الصَّيَّادِينَ الفاسِقِين بِالتَّوْبَةِ، والتَّوَقُّفِ عَنِ ٱحْتِيالِهِم في صَيْدِ سَمَكِ يَوْمِ السَّبْتِ، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِم عَذابٌ شَدِيدٌ، مِثْلَما حَلَّ بِغَيْرِهِم مِنَ الفاسِقِينَ مِنْ قَوْمِ عادٍ وثَمُودَ، الَّذينَ عَصَوْا أَوَامِرَ اللَّهِ تَعالى، وَتَمادَوْا في طُغْيانِهِم وَكُفْرِهِم.

كانَ المُؤْمِنُونَ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَتُوبَ هَؤُلاءِ الفاسِقُونَ، لَكِنَّ هَؤُلاءِ الصَّيَّادِينَ الفاسِقِينَ الَّذِينَ خَتَمَ اللَّهُ على قُلُوبِهِم، وَعَلَى سَمْعِهِم، وَعَلَى أَبْصارِهِم، لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِنُصْحِ أَهْلِهِم المُؤْمِنِينَ.

لَمْ يَتَّعِظِ الفاسِقُونَ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا بِما حَدَثَ لِلأُمَمِ السَّابِقَةِ الَّتي كَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ، وَعَصَتْ أَمْرَ رَبِّها، بَلْ ٱزْدادُوا طُغْياناً وكُفْراً وَسَخِروا مِنَ المُؤْمِنِينَ قائِلِينَ:

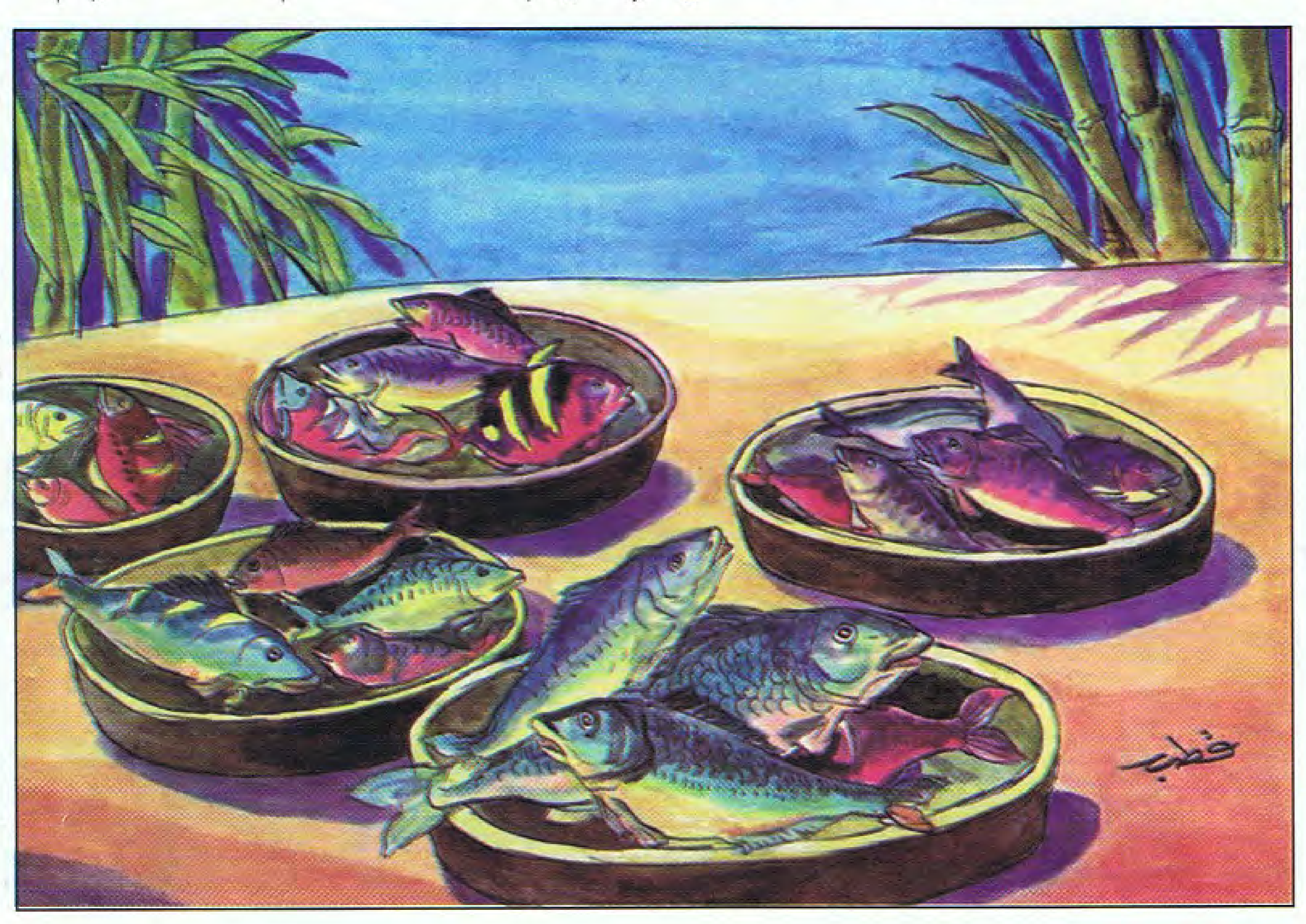
- لَوْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ رَبُّنا راضِياً عَنَّا، لكانَ قَدْ أَهْلَكَنا كَما أَهْلَكَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِنا!

فَرَدَّ المُؤْمِنُونَ على سُخْرِيَتِهِم قائِلِينَ:



- وَيْلَكُم آمِنُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُم عَذابٌ شَدِيدٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ.

وَتيَقَّنَ المُؤْمِنُونَ أَنَّ الصَّيَّادِينَ الفاسِقِينَ ماضُونَ، لا مَحَالَةَ، في غَيِّهِم وضَلالِهِم، فَكَفُّوا عَنْ نُصْحِهِم، وعادُوا إلى جانِبِهِم مِنَ البَلْدَةِ وَهُمْ يُعْلِنُونَ أَنَّهُم قامُوا بِواجِبِهم وَتَرَكُوا الفاسِقِينَ يَتَمَتَّعُونَ في إِثْمِهِم وَعِصْيانِهم وَطُغْيانِهِم.



ٱسْتَمَرَّ الصَّيَّادُونَ الفاسِقُونَ في صَيْدِ أَسْماكِ يَوْمِ السَّبْتِ الوَفِيرَةِ، وَبَيْعِها في الأَسْواقِ، فَٱزْدَهَرَتْ تِجارَتُهُم، وَكَثُرَتْ أَمْوالُهُم وتَمادَوْا في طُغْيانِهِم، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُم قادِرُونَ على التَّمادِي في العِصْيانِ، دُونَ أَنْ يَرْدَعَهُم رادِعٌ، أَوْ يَحُولَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ ما يَبْتَغُونَ زاجِرٌ.

ٱنْغَمَسُوا في المَعاصِي والفُجورِ وتَغَافَلُوا عَنْ تعاليم دِينِهِم، وَتَناسَوْا أَنَّ اللَّه تَعالى على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ، وَأَنَّهُ قادِرٌ على أَنْ يَخْسِفَ بِهِمُ الأَرْضَ كَغَيْرِهِم مِنَ العاصِينَ، أَوْ يُهْلِكَهُم كَما أَهْلَكَ غَيْرَهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ أَثَرٌ، وَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، يُمْهِلُهُم حَتَّى يَتُوبُوا وَيَعُودُوا إِلى رُشْدِهِم.

أَعْمَتِ الشَّهَواتُ أَبْصارَهُم، فَأَخَذُوا يَتَغَنَّوْنَ بِها، وَيَتَباهَوْنَ بِالجَهْرِ بِها، وَيَرْفُضُونَ أَنْ يُساكِنَهُم مَنْ يَعِيبُ عَلَيْهِم سُوءَ أَعْمالِهِم.

وَصَلَ الأَمْرُ مَداهُ، وَظَنَّ الصَّيَّادُونَ الفاسِقُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعالى راضٍ عَنْهُم، وأَنَّ عَذابَهُ لَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيْهِم، وشاءَ اللَّهُ تَعالى أَنْ يُحِيطَ بِهِمُ العَذابُ.

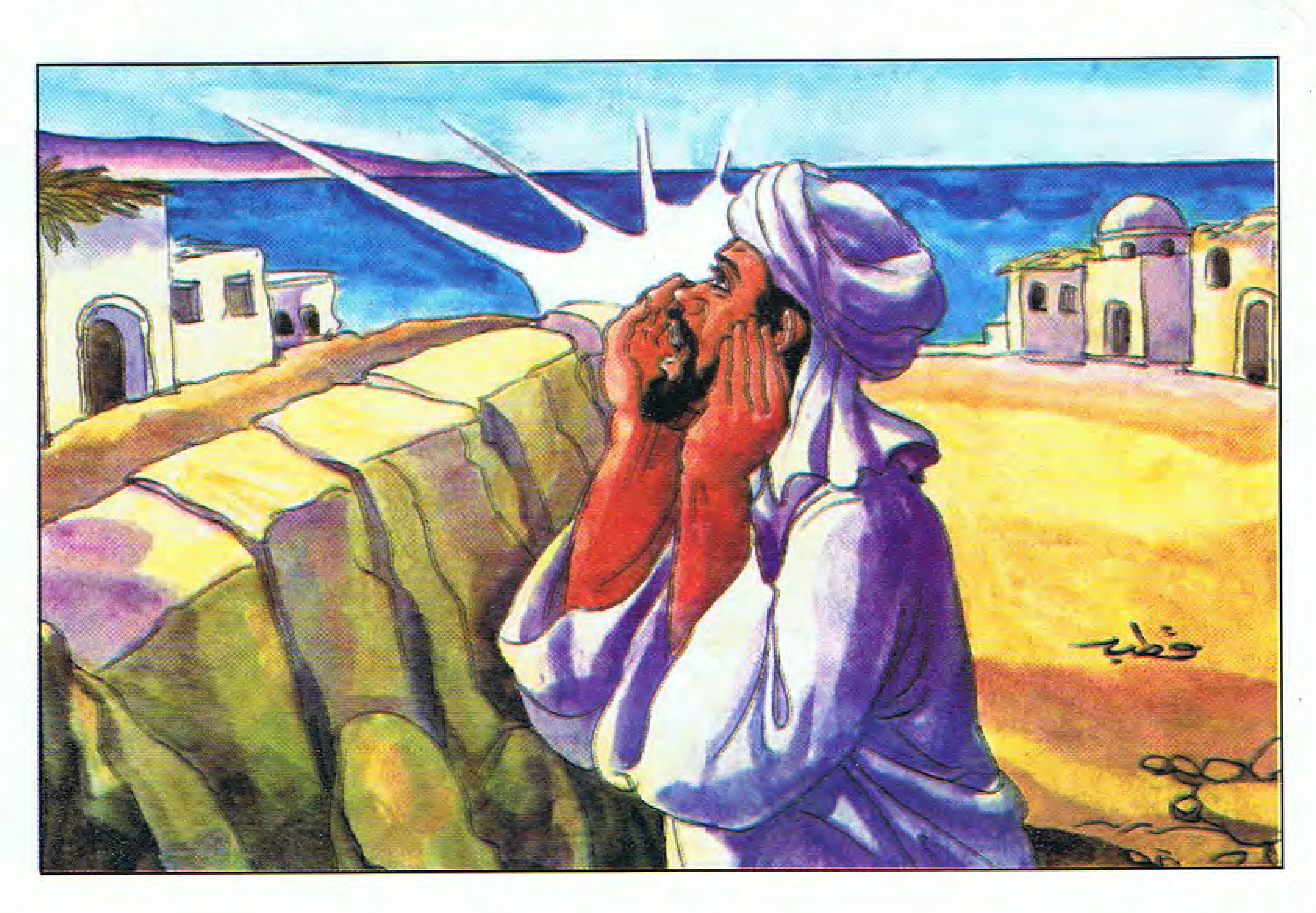
فَلَمَّا أَفَلَ اللَّيْلُ، وَبَزَغَ فَجْرُ اليَوْمِ التَّالِي، عَمَّ الهُدُوءُ جانِبَ الصَّيَّادِينَ الفاسِقِينَ، وَلَمْ يَسْمَعِ المُؤْمِنُونَ لَهُمْ صَوْتاً، ولا ضَجِيجاً، ولا حَرَكَةً!

ظَنُّوا أَنَّ إِخْوانَهُم في الجَانِبِ الآخَرِ من البَلْدَةِ قد ٱسْتَجابُوا لِنِدائِهِم، وعادُوا إِلى تَعالِيمِ دِينِهِم، وأَقْلَعُوا عَنِ المَعْصِيَةِ، وَتابُوا إِلى اللَّهِ تَعالى.

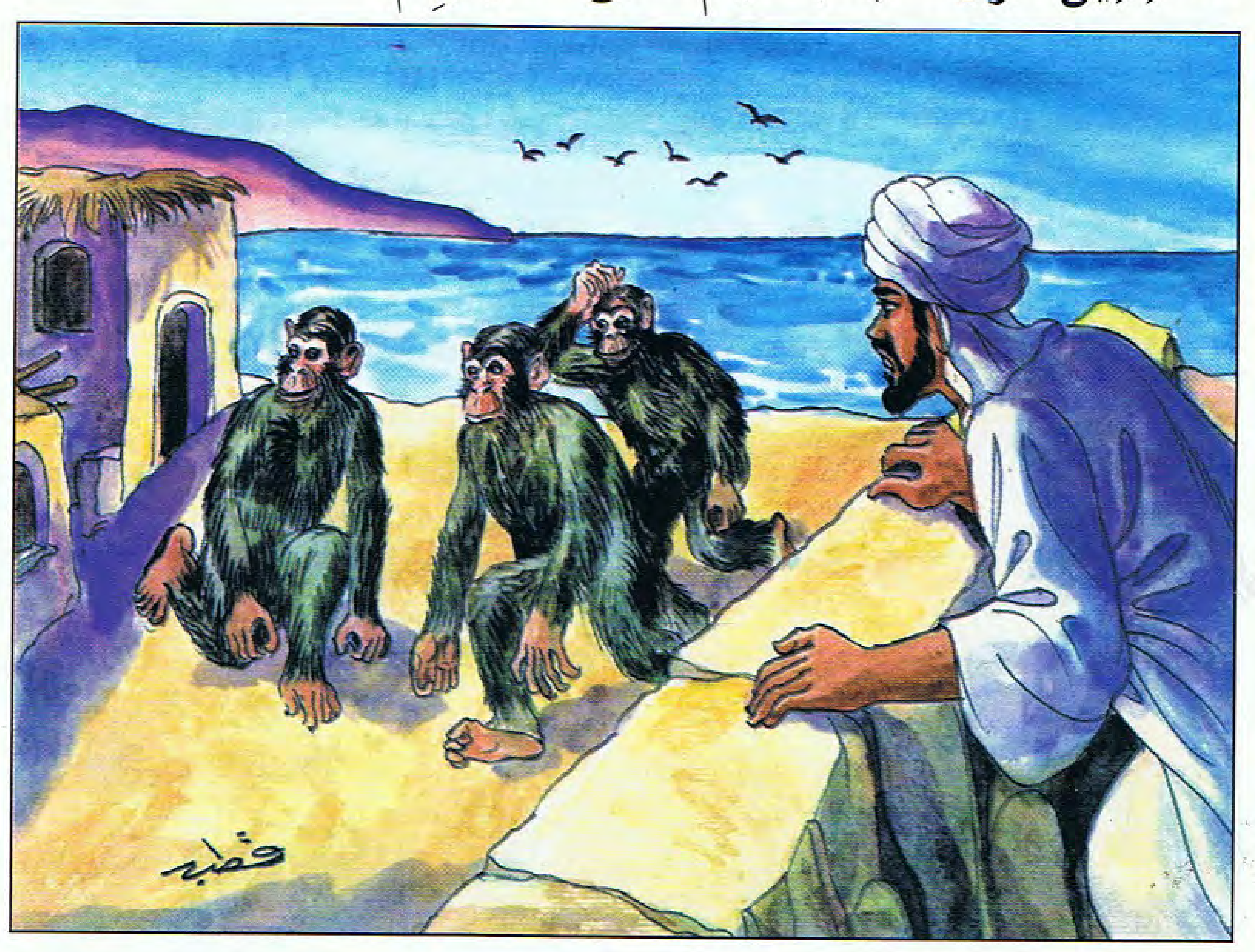
نادَوْهُم، فَلَمْ يُجِبْ أَحَدٌ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِم مِنْ يُسَفِّهُ كَالعادَةِ أَقْوالَهُم، فَأَرادُوا أَنْ يَعْرِفُوا ما حَدَث لَهُم! وماذا أَصَاب الصَّيَّادِينَ الفاسِقِينَ؟ وما سَبَبُ هَذا الهُدُوءِ الغَرِيبِ المُخَيِّم على الجانِبِ الآخَرِ مِنَ البَلْدَةِ؟

لَكِنَّ السُّورَ الفاصِلَ بَيْنَهُم، حالَ دُونَ ذلِكَ فَما العَمَلُ؟

تَسَلَّقَ أَحَدُ المُؤْمِنِينَ السُّورَ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ يَنْظُرُ ما يَحْدُثُ في الجانِبِ الآخَرِ مِنْ البَلْدَةِ، وَظَهَرَتْ على الرَّجُلِ عَلاماتُ الدَّهْشَةِ! وَصَرَخَ هاتِفاً: لا إلـهَ إلاَّ اللَّهُ. لَقَدْ رَأَى مَنْظَراً عَجِيباً، رَأَى قُرُوداً تَتَحَرَّك في الجانِبِ الآخَرِ مِنَ



البَلْدَةِ، القُرودُ تملأُ الشَّوارِعَ الَّتي خلتْ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ والأَطفالِ والشُّيوخِ، لَقَد مَسَخَ اللَّهُ تعالى الصَّيَّادِينَ الفاسِقِينَ قُرُوداً عِقَاباً لَهُمْ عَلى طُغْيانِهِم.



أَجْهَشَ المُؤْمِنُونَ بِالبُكاءِ، وَحَمِدُوا اللَّهَ تعالى عَلَى طاعَتِهِ، وَتَمَسُّكِهِم بِأَوامِرِهِ، وَشَكَرُوهُ على حِفْظِهِم مِنَ العِقابِ الشَّدِيدِ الَّذي حَلَّ بالفاسِقِينَ مِنْ أَهْلِ بَلْدَتِهِم إِيلَةَ الَّذينَ سَخِرُوا مِنْهُم، ومِنْ إيمانِهِم بِاللَّهِ تعالى.

تَمَسَّكَ المُؤْمِنُونَ بِإِيمانِهِم، وَرَأَى أَوْلادُهُم وأَحْفادُهُم عاقِبَةَ مَنْ يَسْخَرُ مِنْ تَعالِيمِ دِينِهِ ولا يَتَمَسَّكُ بِها.

في هذه السلسلة:

ٱلمُسَبِّحْ فِي بَطْنِ ٱلحوتِ

ٱلغَمامَةُ ٱلَّتي أَمْطَرَتْ ناراً

مَائِدَةٌ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ

جَزاءُ ٱلفَاسِقِيـنَ

صَبْرُ أَيُّوبَ



ISBN 978-9953-525-709
9 789953 525709